الفصل الثاني عشر
"الأقصوصة"

جلس عماد بأريحية على سرير هشام فضربه هشام على فخذه قائلًا:

- مش وقت نوم، عايزك تفوق معايا كده.

- يا عم حرام عليك، مش كفاية حماتي اللي كلِت دماغي من ساعة ما جيت.

حدجه هشام بنفاد صبر؛ فاعتدل عماد في جلسته قائلًا باهتمام:

- لا شكله الموضوع مهم وفيه ساسبِنْز، قولّي إيه الجديد؟

لم يتفوّه هشام بحرف، بل أخرج من جيب سترته ورقة مكرمشة، نعم تلك الأقصوصة التي وجدها في شقة كارولين ولم يُعرِب عمّا بها لسامر زاعمًا أنها ليس بها شيء مهم، فرَدَها وناوله إياها، تعجَّب عماد لتلك الورقة يتفحّص ما بها بعناية، أرقام متراصة لا معنى لها، أو هكذا تبدو؛ فسأله:

- إيه الورقة دي؟ ومعناها إيه الأرقام دي؟!

- جاتلنا إخبارية النهاردة عن مكان كارولين، ولما روحت أنا وسامر قلَبْنا الشقة ومالقناهاش، عارف مين اللي بلّغني بالإخبارية؟

- مين؟

- صاحبنا.. سامر.

- امم، عايز تقول إن شكّك كان في محله، هو أول واحد عرف مكانها وأكيد قالّها تسيب المكان قبل ماتوصلولها.

- بالظبط.

- طب مش النقيب جمال معاكوا في القضية دي؟!

- وإيه دَخْل جمال في الموضوع؟!

- جرا إيه يا حضرة الظابط هو أنا اللي هقولّك برضه؟ طالما بدأت تشك يبقى ماينفعش تستثني حد من دايرة الشك.

- معاك في ده، بس كل الشبهات من البداية كانت بتحوم حوالين سامر.

- وده اللي مخلّيني مش مرتاح، ماعتقدش ظابط بذكاء سامر يبقى صيد سهل لشبهات زي دي.

- بس جمال كان مشغول في مأمورية تانية، إنما اللي عرف بمكان كارولين هو سامر.

- طيب كمّل... إيه حوار الورقة دي؟

- دي لقيتها في شقة كارولين، سامر أول ما شافها اضطرَب ووشّه جاب مية لون، بس ماخليتوش يشوفها.

- والأرقام دي معناها إيه؟

كان ذلك هو محتوى الأقصوصة: (٦-١٠ ٢ ٥ ٨٦٢١).

هتف هشام يحك ذقنه بتفكير:

- مش عارف، بفكّر فيها من ساعة ما شوفتها ومش لاقي لها تفسير، ليه مثلًا فيه مسافات بين بعض الأرقام وأرقام تانية على بعضها، والشرطة اللي بين ٦ و١٠ كأن ليها دلالة معينة.

فكر عماد بتؤدة، ثم قال:

- بص.. هو تحس أول رقمين دول تاريخ، بس اللي بعد كده مش مفهوم، ممكن مثلًا يكون كود سرّي لحاجة معينة؛ إيميل مثلًا أو لاب توب.

- مش عارف.. حاسِس إن الأرقام دي مألوفة ليا، ليها دلالة معينة بس مش قادر أجمعها.

أوشك عماد على الرد، لكن حنين طرقت الباب وأبلغتهم بأن الغداء جاهز، فقال: طب تعالَى نتغدا الأول ونفكر واحنا بنشرب الشاي.

*****

في منزل جنة:

كانت تقبع جنّة وابن خالتها في الشرفة، يتبادلان الحديث ويرتشفان من القهوة بالحليب طيّبة المذاق، ران الصمت عليهما للحظات شردت بها جنة إلى تلك الغرفة المظلمة؛ فاقشعر بدنها محدثًا انتفاضة خفيفة لم يلحظها أحمد الذي نهض ليسقي النباتات حولهما تفوح بأريجها الخلّاب، لاح بذهنها صورة هشام حتى باتَت تتجسد أمام عينيها، لقد ضاقَت ذرعًا من استحضاره الدائم بذهنها؛ فتشعر بفراشات ترفرف بأجنحتها مداعبة قلبها؛ فيزداد خفقانه

ويتسع فمها بابتسامة حالمة رغمًا عنها، وما إن تدركها حتى يتضّح لها أن الوقت قد فات، حيث أردف أحمد مشاكسًا:

- هيييح يا بخته!

اعتدلت جنة في جلستها ورشفت من فنجانها باضطراب، وحمحمت تقول:

- هو مين ده؟

- اللى واخد عقلك ياختي، سرحانة في ملكوت تاني والابتسامة اللي بتترسم على وشك فجأة، نهارك مش فايت لو طلعتِى مخبية عليّا حاجة يا جنّة، أنا بقولّك أهو.

ضحكت جنة من قلبها، ثم قالت:

- انتَ عارف لو خبّيت على العالم كله مابعرفش أخبّي عليك، عارف ليه؟

عدل من هندامه بتصنع قائلًا:

- عشان بتحبيني طبعًا.

واصلت جنة ضحكها، ثم تابعت:

- لا.. عشان مش بتبطّل زن غير لما تعرف، وزيّ ما بيقولوا الزن على الودان أمَرّ من السحر.

لوى أحمد فمه قائلًا بعتاب:

- كده برضه يا چيني! طيب انسِي بقى إني أقولّك على آخر التطورات في علاقتي الواعدة.

ضحكت جنة على طريقته المسرحية، ثم قالت:

- صحيح.. عملت إيه مع ريهام؟

- انسي.

- كده برضه يا أحمد...

قاطعهما صوت رنين هاتفها؛ فأجابت المتصل، وكانت صديقتها في الجامعة، وبعد أن أغلقَت معها حلّ الوجوم على ملامحها؛ فجلس أحمد أمامها وقد نسي أمر المزاح متسائلًا:

- مالك يا جنة وشك اتقلَب كده ليه؟

زمت فمها بامتعاض، وقالت:

- امتحانات الميد ترم قرّبِت، خايفة الوضع ده يستمر ومعرفش أروح الامتحانات.

ابتسم أحمد وأطبَقَ بعينيه بقوة يستحثّها على الاطمئنان مردفًا:

- ماتقلقيش إن شاء الله خير، وفداكِي مليون امتحان، ولو حكمِت أودّيكي وأجيبِك مفيش مشكلة.

طالعته بامتنان وراحت تلوذ بالصمت يعصف بذهنها ثانية ضابط الأمن الغامض، تُرى هل ستراه مرة أخرى؟!

*****

في تلك اللحظة، كان هشام يتناول طعامه ببالٍ شارد بعيدًا، تتخبط به أمور شتى في محاولة لاتخاذ كل منه موضعه ليُحَلّ اللغز وينتهي بسلام، لكن توقّفَت ذاكرته عند مرور صورتها بها، ولم تشأ الانتقال إلى غيرها، هل وجدَت به أمانًا تلوذ به حينما أخافها اللواء، هل استنجادها به ليخرجها من تلك التهمة اللعينة هو أهل ثقة له، لمَ لَم تَخف منه إلى حد خوفِها من اللواء؟!

بمَ تهذي بالله عليك؟ أستقارن بينك أيها الرائد وبين اللواء؟! لكنك على كلٍّ كنت تدمر ثقتها بك في كل مرة.. ومع ذلك كانت تلجأ إليك، وما الذي جعلها تُدافِع عنك أمام والدها؟! ثم صاح هاتفًا بغير انتباه:

- يووه، وده وقته؟!

انتبه حينها لصمت الملاعق وتحديقِ الأنظار به بتعجّب، في حين سمع صوت عمر: فيه إيه يا هشام؟ أنت بتكلم نفسك ولا مِث لاقي الأميرة صاحبة الدزمة؟

- أميرة إيه يا سي عمر وجزمة إيه؟

- أصل انتَ فكرتني بالأمير.. لما شاف دَزْمِة سندريلا كان بيكلّم نفسه زيّك كده.

- امم والله! طب كُل بقى بدل ما أقوم أقطّعَك زغزغة.

ضحك الطفل وانكبّ على صحنه بنهم؛ فضحك هشام مداعبًا شعر ابن أخته المدلّل، ونهض عن المائدة؛ فهتفت منيرة:

- يا ابني اقعد، انتَ لِحِقْت تاكل؟

- شبعت الحمد لله.

تنهّدَت منيرة تهز رأسها بقلة حيلة، بينما أمسك هشام بهاتفه، وجدت أنامله طريقها إلى تطبيق الواتساب، وما لبث أن قام بإطلاق سراح رسالة يحملها سؤال أخذ يؤزّ قلبه منذ أن غابت عن ناظريه، ينتظر جوابًا يهدّئ من ثورة عقله وقلبه في خضَمّ تلك المشاكل كلها.

حينذاك كانت جنة تذاكر بغرفتها بعدما غادر أحمد، لم تغِب عن كتبها سوى أيام قليلة، لكنها في هولِ تلك الأحداث شعرَت بأنهم سنين طوال؛ فأخذت ترتب كتبها الأهم فالمهم، وبينما كانت منهمكة في دراستها حتى رن هاتفها بوصول رسالة واتساب، تعجّبَت لذلك الرقم الغريب، لكنها فتحتها على أي حال، وكان هذا نصها:

"آنسة جنة، عاملة إيه دلوقتي؟ أتمنى تكوني بخير."

أخذت جنة ثوان تحاول تذكر من يكون هذا، ولّما أخفقت في تكهنه أرسلت له: "شكرًا، بس مين حضرتك؟!"

بعد لحظات أتاها الرد صادمًا: "معاكي الرائد هشام".

تسمرَّت أوصالها هنيهة، يتخبّط فيها قلبها بضلوعها، تنفضّ رأسها وتعود بعينيها لتقرأ اسمه مرة أخرى كي تتأكد أن عقلها الباطن لا يوهمها، لكنها كانت الرسالة بذاتها؛ فتمتمَت بغيظ مصطنع:

– الرائد هشام، واخدلي في نفسه مقلب قوي.. انتِ هبلة! أومال عايزاه يقول لك إيه؟!

أخذت أناملها تعبَثُ بالحروف المتراصة على شاشة هاتفها، حتى أرسلت له جوابًا مفاده "أهلًا يا سيادة الرائد، وحضرتك بقى متعوّد تسأل على المتهمين بتوعك؟!".

لم يكن هشام بمزاج يسمح له تقبّل تلك المزحات الاستفزازية؛ فرد بدون تفكير " أولًا انتِ مش متهمة، ثانيًا بقى وانتِ متعوّدة تردّي على أي رقم غريب؟! ما هو ده اللى بيودّيكي في داهية".

وبعد لحظة أعاد بها قراءة رسالته قال لنفسه: إيه اللي بتقوله ده انت كمان؟! يعني كنت هتبقى مبسوط لو ماردتش؟!

ألقى بهاتفه بحنق على سطح الطاولة أمامه، وأمسك بالأقصوصة يتدبّر الأرقام للمرة الألف، قبل أن ينهض فجأة في هلع ساقطًا الكرسي من خلفه، وكاد يدخل من النافذة؛ فاصطدم بعماد الذي تعجّب لهيئته قائلًا:

- إيه مالك، رايح فين؟
- عرفت معنى الأرقام.
- طب إيه قولي؟
- ده عنوان جنة، ٦-١٠ يعني ٦ أكتوبر، ٢ يعني الحي التاني، ٥ المجاورة الخامسة، ٨٦٢١ دي أصلها ١٢٨٦ رقم العمارة.
- يا خبر أسود، يعني حياتها في خطر.
- مش هسمح بكده.

خرج مسرعًا، وأخذ سترته مغادرًا المنزل؛ فتعجبت منيرة وحنين متسائلتين؛ فأجابهما عماد:

- ماتقلقوش.. عنده شغل مستعجل.

*****

شهقَت جنة فور قراءتها رسالته؛ فكادت تردّ هي الأخرى، لكنها فؤجئت باتصال منه؛ فضغطت زر القفل بدون تفكير بفعل اضطرابها؛ فاتصل ثانية فأخذت نفسًا عميقًا وأضرجَت الدماء بوجهها، ثم ردت بخفوت:

- ألو!

جاءها صوت لاهث يقوم بحزم:

- اوعي تخرجي من من باب البيت ولا تطلعي البلكونات.

ردت بهلع:

- إيه ده! ليه؟!

قاطعها بحسم:

- سمعتيني؟! أنا جاي حالًا.

أخذ ذهنها يدور ويطوف، هل سيقبِض عليها ثانية، هل يأخذ منها الإذن قبل أن يفعلها؟! ما هذا بحق الله!